

اصطلاحات الناظم ومنهج استعمالها (1)

الدرس
7

أهداف الدرس

- ◀ أن أتعرف اصطلاح الناظم في ذكر الأضداد.
- ◀ أن أدرك أنواع الأضداد في اصطلاح الناظم ومنهج استعمال كل نوع.
- ◀ أن أقدر على توظيف منهج الناظم في فهم متن الشاطبية.

تمهيد

لم يقتصر الناظم رحمه الله في هذه المقدمة على بيان الرموز الحرفية والكلمية، الإفرادية والجماعية، بل أعقب ذلك بذكر اصطلاحات أخرى تمثل منهجه في بيان وجوه القراءات، ومن ذلك منهجه في ذكر الأضداد.

فما أنواع الأضداد في اصطلاحات الناظم؟ وما منهجه في استعمالها؟

المتن

قال الإمام الشاطبي رحمه الله:

- 57- وَمَا كَانَ ذَا ضِدٍّ فَإِنِّي بِضِدِّهِ *** غَنِي فَرَاحِمَ بِالذِّكَاءِ لِتَفْضُلَا
58- كَمَدٌ وَإِثْبَاتٌ وَفَتْحٌ وَمُدْغَمٌ *** وَهَمْزٌ وَنَقْلٌ وَاخْتِلَاسٌ تَحْصَلَا
59- وَجَزْمٌ وَتَذْكِيرٌ وَغَيْبٌ وَخَفَّةٌ *** وَجَمْعٌ وَتَنْوِينٌ وَتَحْرِيكٌ أَعْمَلَا
60- وَحَيْثُ جَرَى التَّحْرِيكُ غَيْرَ مُقَيَّدٍ *** هُوَ الْفَتْحُ وَالْإِسْكَانُ أَخَاهُ مَنْزِلَا
61- وَأَخِيْتُ بَيْنَ النُّونِ وَالْيَا وَفَتْحِهِمْ *** وَكَسْرٍ وَبَيْنَ النُّصْبِ وَالْخَفْضِ مَنْزِلَا

الفهم

الشرح:

لِتَفْضُلًا: لتغلب في الفضل .

تَحْصَلًا: ثبت في الرواية .

مُنْزَلًا: بضم الميم أي: منزلا كل شيء من ذلك منزله .

استخلاص المضامين:

◀ أحدد منهج الناظم في ذكر الأضداد .

التحليل

يتعلق هذا الدرس باصطلاح آخر من اصطلاحات الناظم رحمه الله ، وهو الاستغناء بذكر أحد الضدين عن الضد الآخر ، وفي ذلك يقول رحمه الله:

وَمَا كَانَ ذَا ضِدٍّ فَإِنِّي بِضِدِّهِ *** غَنِيٌّ فَزَاحِمٌ بِالذِّكَاءِ لِتَفْضُلًا

أي: كل وجه له ضد واحد سواء كان عقليا أو اصطلاحيا ، فإنني أستغني بذكر أحد الضدين عن الآخر لدلالته عليه ، فيكون من سَمَى يقرأ بما ذكره ، ومن لم يسم يقرأ بضد ما ذكره .

واعلم أن الأضداد المذكورة تنقسم قسمين:

أحدهما: ما يعلم من جهة العقل .

والثاني: ما يعلم من جهة اصطلاحه ، ثم هي تنقسم قسمين آخرين: منها ما يطرد وينعكس ،

أي: كل واحد من الضدين يدل على الآخر ، ومنها ما يطرد ولا ينعكس .

فبدأ بالقسم الأول من القسمين ، أعني الذي يعلم من جهة العقل المطرد المنعكس .

أولا: الضد الذي يعلم من جهة العقل المطرد المنعكس

وقد مثل الناظم لهذا القسم بمجموعة من الأمثلة فقال:

كَمَدٌ وَإِثْبَاتٌ وَفَتْحٌ وَمُدْغَمٌ *** وَهَمْزٌ وَنَقْلٌ وَاخْتِلَاسٌ تَحْصَلًا

قوله: «كَمَدَّ»: المد ضده القصر ، كقوله: «فَإِنْ يَنْفَصِلْ فَالْقَصْرَ بَادِرُهُ». وقوله: «وَعَنْ كُلِّهِمْ بِالْمَدِّ مَا قَبْلَ سَاكِنٍ». وتارة يعبر بالمد عن زيادة حرف ، كقوله: «وَفِي حَادِرُونَ الْمَدِّ». وتارة يعبر بالقصر عن حذف الألف ، كقوله: «وَقُلْ لَا يَبْنِي الْقَصْرُ».

قوله: «وَإِثْبَاتٍ»: الإثبات ضده الحذف ، كقوله: «وَتَثْبُتُ فِي الْحَالَيْنِ دُرًّا لَوَامِعًا»، وقوله: «وَقُلْ قَالَ مُوسَى وَاحْذِفِ الْوَاوَ دُخْلًا».

قوله: «وَفَتْحٍ»: الفتح هنا: ضده الإمالة الكبرى والصغرى ، ولم يستعمله الناظم إلا في قوله في سورة يوسف: «وَالْفَتْحُ عَنْهُ تَفَضُّلاً»، وفي باب الإمالة في قوله: «وَلَكِنْ رُءُوسُ الْآيِ قَدْ قَلَّ فَتَحُّهَا».

وإنما لم يقع التقييد بالفتح إلا في هذين الموضعين؛ لأن القراءة إذا كانت دائرة بين الفتح والإمالة ، فقلما يعبر الناظم بالفتح لعدم دلالة الفتح على أحد نوعي الإمالة؛ لأن الإمالة منقسمة إلى صغرى وكبرى ، فلا تفهم القراءة الأخرى لو عبر بالفتح ، فيعبر بالإمالة إما الصغرى أو الكبرى ، وأيهما كانت فضدها الفتح.

والفتح هنا غير الفتح الذي يأتي مؤاخيا بينه وبين الكسر؛ لأن الفتح هنا ضد الإمالة ، بخلافه ثم ، فإن ضده الكسر كما سيأتي .

قوله: «وَمُدْغَمٌ وَهَمْزٌ وَنَقْلٌ وَاخْتِلَاسٌ»: ضد الإدغام: الإظهار ، وضد الهمز: ترك الهمز ، وضد النقل: إبقاء الهمز على حركته ، وإبقاء الساكن قبله ، وضد الاختلاس: إكمال الحركة؛ لأن معنى الاختلاس خطف الحركة والإسراع بها.

ثانياً: الأضداد التي اصطلح عليها الناظم

قال الناظم رحمه الله:

وَجَزْمٌ وَتَذْكِيرٌ وَغَيْبٌ وَخِفَّةٌ *** وَجَمْعٌ وَتَنْوِينٌ وَتَحْرِيكٌ أَعْمَلًا

تحدث الناظم في هذا البيت عن مجموعة من الأضداد التي اصطلح عليها ، وهي:

الجزم: وضده في اصطلاحه الرفع ، وهو يطرد ولا ينعكس . أما بيان اطراده؛ فلأنه متى ذكر الجزم فخذ ضده الرفع ، كقوله: «وَبِالْقَصْرِ لِلْمَكِّيِّ وَاجْزَمْ فَلَا يَخَفُ». وأما الرفع فضده النصب كما سيأتي .

التذكير: وضده التأنيث ، وكل من الضدين يدل على الآخر كقوله: «وَذَكَرَ لَمْ يَكُنْ شَاعَ»، وقوله: «وَإِنْ يَكُنْ أَنْتَ».

الغيبة: وضدها الخطاب ، وكل من الضدين يدل على الآخر ، كقوله: «وَفِي يَعْمَلُونَ الْغَيْبُ حَلَّ»، وقوله: «وَيَدْعُونَ خَاطِبَ إِذْ لَوْى».

الخفة: وضدها الثقل ، وكل منهما يدل على صاحبه ، كقوله: «وَكُوفِيهِمْ تَسَاءَلُونَ مُخَفَّفًا». وقوله: «وَحَقٌّ وَفَرَضْنَا ثَقِيلًا».

الجمع: وضده التوحيد والإفراد ، وهو من الأضداد المطردة المنعكسة باصطلاحه نحو: «وَجَمْعُ رِسَالَاتِي حَمَتُهُ ذُكُورُهُ»، وكقوله: «خَطِيبَتُهُ التَّوْحِيدُ عَنْ غَيْرِ نَافِعٍ» «رِسَالَاتٍ فَرَدُّ».

التوين: وضده تركه ، وهو من الأضداد المطردة المنعكسة ، كقوله: «لَتَمُودٍ نُونُوا وَاخْفُضُوا رِضًا» وقوله: «ثَمُودَ مَعَ الْفُرْقَانِ وَالْعَنَكُبُوتِ لَمْ . . . يُنَوَّنْ».

التحريك: وضده الإسكان ، سواء كان مقيدا نحو: «وَحُرَّكَ عَيْنُ الرُّعْبِ ضَمًّا»، أو مطلقا، نحو: «مَعَا قَدَرُ حَرَّكَ مِنْ صَحَابٍ».

وَحَيْثُ جَرَى التَّحْرِيكُ غَيْرَ مُقَيَّدٍ * هُوَ الْفَتْحُ وَالْإِسْكَانُ آخَاهُ مَنْزِلًا**

التحريك يقع في القصيد على وجهين: مقيد ، وغير مقيد .

فالمقيد: كقوله: «وَاللَّامَ حَرَّكُوا . . . بَرَفَعِ خُلُودًا»، وكقوله: «وَحُرَّكَ عَيْنُ الرُّعْبِ ضَمًّا».

وغير المقيد: كقوله: «مَعَا قَدَرُ حَرَّكَ»، ولا يكون إذا إلا فتحا ، ومثله قوله: «نَعَمْ ضَمَّ حَرَّكَ وَأكْسِرِ الضَّمَّ أَثْقَلًا».

والإسكان ضدهما معا ، وإنما قال في هذا البيت: «وَالْإِسْكَانُ آخَاهُ» ولم يستغن بما تقدم في البيت الذي قبله لفائدة ، وليس هذا بتكرار ، أراد به إذا ذكر التحريك غير مقيد فضده الإسكان ، وإذا ذكر الإسكان فضده الفتح إذا كان الإسكان غير مذكور الضد كقوله: «وَيَطْهَرْنَ فِي الطَّاءِ السُّكُونُ» فصد هذا السكون الفتح؛ لأنه ذكره ولم يذكر له ضدا ، فإن كان للسكون ضد غير الفتح فلا بد من ذكره وتقبيده كقوله:

وَحَيْثُ أَتَاكَ الْقُدْسُ إِسْكَانُ دَالِهِ *** دَوَاءٌ وَلِلْبَاقِينَ بِالضَّمِّ أُرْسِلَا

لما كان ضد الإسكان هنا الضم ذكره وعينه.

وكقوله: «وَأَرْنَا وَآرَنِي سَاكِنَا الْكَسْرِ».

ثم شرع يذكر بقية الأضداد التي اصطلح عليها فقال رحمه الله:

وَآخِيَتْ بَيْنَ النُّونِ وَالْيَا وَفَتْحِهِمْ *** وَكَسْرِ وَبَيْنَ النَّصْبِ وَالْخَفْضِ مُنْزِلَا

أخبر أنه آخى بين النون والياء، وبين الفتح والكسر، وبين النصب والخفض. وفعل ذلك لكثرة دورهما في التراجع، وفرق بين لقبي الفتح والنصب، وبين لقبي الكسر والخفض، على اصطلاح البصريين في التفرقة بين ألقاب حركات الإعراب والبناء.

فحاصل هذا البيت أن النون والياء ضدان، وكل واحد منهما يدل على صاحبه، فمتى كانت القراءة دائرة بين الياء والنون، فإذا ذكرت الياء لقارئ نحو: قوله: «وَيَا وَنُكْفَرُ عَنْ كِرَامِ»، فتأخذ للمسكوت عنهم النون لتصريحه بالياء. وإذا ذكر النون لقارئ نحو قوله: «وَحَيْثُ يَشَاءُ نُونُ دَارِ»، فتأخذ للمسكوت عنهم الياء، لتصريحه بالنون.

وقوله: «وَفَتْحِهِمْ ... وَكَسْرِ ...».

الفتح والكسر ضدان، وكل واحد منهما يدل على صاحبه.

مثال الفتح قوله: «إِنَّ الدِّينَ بِالْفَتْحِ رُفْلًا»، فتأخذ للمسكوت عنهم القراءة بكسر الهمز.

ومثال الكسر قوله: «عَسَيْتُمْ بِكَسْرِ السَّيْنِ حَيْثُ أَتَى أَنْجَلًا»، فتأخذ للمسكوت عنهم القراءة بفتح السين.

وأما النصب والخفض فهما ضدان، وكل واحد منهما يدل على الآخر.

مثال النصب قوله: «وَعَيْرُ أُولِي بِالنَّصْبِ صَاحِبُهُ كَلَا».

ومثالخفض قوله: «وَحَمْزَةُ وَالْأَرْحَامُ بِالْخَفْضِ جَمَلًا».

التقويم

1. أحدد أنواع الأضداد المستعملة في اصطلاح الناظم .
2. أبين الحالات التي ذكرها الناظم في استعمال الضد الذي يعلم من جهة العقل المطرد المنعكس ، وأمثل لكل حالة .
3. أذكر الأضداد التي اصطلح عليها الناظم ، وأمثل لكل منها بمثال .

الاستثمار

أتصفح فرش الحروف من متن الشاطبية ، ثم أقوم باستخراج مثالين لاستعمال الناظم لبعض اصطلاحاته التي درست ، وذلك كالآتي :

- مثال : من الأضداد التي تعلم من جهة العقل .
- مثال : من الأضداد التي اصطلح عليها الناظم .

الإعداد القبلي

- أحفظ متن الدرس القادم ، وأجيب عن الآتي :
1. أحدد منهج الناظم رحمه الله في استعمال الرموز اللفظية .
 2. أبين منهج الشاطبية في التصريح بأسماء القراء والرواة .